

مؤتمر واقعة الطف الدولي الثامن  
الزيارة الأربعينية مسيرة للتكامل الإنساني  
٢٠١٦/١١/٢٨

## الزيارة الاربعينية منهج تطبيقي لفكر الامام الحسين

أ.م. د. إسراء حسين جابر

الجامعة المستنصرية

كلية الآداب / قسم الترجمة

Email: dr.israaarabic@yahoo.com

### المقدمة:

إن من أعظم النعم التي انعمها الله سبحانه وتعالى هي بعث الانبياء والمرسلين والائمة الهادين إلى الخلائق اجمعين ليبينوا للعباد حقيقة العبودية والتوحيد والدعوة إلى عبادة الله تعالى دون غيره من الالهواء والاباطيل .

ويعد الإمام الحسين عليه السلام واحداً من الائمة المعصومين الذين كان لهم دور رسالي من أجل تثبيت الموقف الواعي والحكم الشرعي تجاه ظاهرة الطغيان اليزيدي، الحاكم المستهتر بالقيم والشعائر الاسلامية ، لذا فإن الهدف من ثورة الامام هو المحافظة على الوجود الاسلامي واستمراره من خلال تثبيت هذا الحدث إلى جانب

ذلك كان الهدف منها ايقاظ ضمير الامة وهزّ مشاعرهم وأحاسيسهم وتحريك وجدانها من أجل العمل على مواجهة هذه الظاهرة .

إذ إن ثورة الإمام الحسين عليه السلام تعد من أبرز وأعظم مظاهر المواجهة والتحدى في سبيل المبدأ والصالح العام ، فكان لهذه الثورة هدفاً انسانياً يتمثل في القضاء على الظلم وإحقاق الحق في العدل والمساواة وفقاً لتعاليم الدين الاسلامي ، فضلاً عن أنها حق من حقوق البشرية جمعاء .

ومما لا شك فيه أن ثورة الحسين(ع) تركت بصماتها في كل عصر وزمان لتضيء زوايا الظلام وتقتلع الظلم المغروس من قبل الطغاة ، وبقي تأثيرها إلى يومنا هذا ، حتى أصبح استشهاد الحسين(ع) بداية لانطلاق الثورات التي أخذت بثأره وطالبت بحقوق المستضعفين.

وتعد الزيارة الاربعينية للإمام الحسين هي الأخرى ثورة وفكر، استمدت منطلقاتها من فكر الامام الحسين ، ، حتى عدّها الامام الحسن العسكري (ع) علامة من علامات المؤمن، وذلك في قوله : "علامات المؤمن خمسة: التختم باليمين، وتعفير الجبين، وصلوات إحدى وخمسين، وزيارة الأربعين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم " وفي ذلك القول حث ودعوة واضحة على تأدية الزيارة الاربعينية للإمام الحسين(ع) وهي دعوة كانت تحمل ملامح فكرية وسياسية واضحة إضافة الى ما تحمله من بعد ديني، يتضمن الولاء لأهل البيت واحقيتهم، وتستبطن معارضة لمن سار على نهج الامويين ومن جاء بعدهم في استهدافهم لأهل البيت.

إلى جانب ذلك فإنها تجسد المحبة الالهية وتجديد عهد في التمسك بتعاليم الدين الاسلامي والتخلق بأخلاق الحسين والتمسك بمبادئه الاخلاقية والانسانية .

وقد أثارت الزيارة الاربعينية بكل طقوسها من تحدي وصبر وكرم اهتمام العالم بأسره ولعل الاعلام الواعي يشكل إحدى السبل المهمة في نقل هيبه وعظمة وهدف الزيارة للعالم بأسره وهي محطة اشعاع للعالم وصورة مشرفة للمذهب الشيعي ومصدر من مصادر استقطاب الاديان والطوائف والبلدان كافة .

وبناءً على ما سبق ارتأينا ان نقسم البحث على محورين احدهما يتضمن (ماهية الفكر الحسيني ) وثانيهما يدور حول (الزيارة الاربعينية ثورة وفكر )

## المحور الاول

### ما هيه الفكر الحسيني

#### ١- من الثورة إلى الفكر

إن ثورة الحسين واحدة من أهم الثورات في العالم ككل لاسيما العالم الاسلامي بكل طوائفه، فكانت حركة ثورية غاضبة لمناهضة الامويين وما شهدته تاريخهم من انحرافات سياسية واقتصادية واجتماعية وعقائدية ، فقد رفض الإمام البيعة ليزيد والاعتراف بسلطانه لما اتصفت به تلك الشخصية من صفات لا تؤهله للإمامة ، فضلا عن انحراف السلطة عن نهج الاسلام ونفسي الفساد

ولقناعته بأن الأوضاع القائمة كلها شاذة وأنها بحاجة إلى تغيير جذري في بنائها هي التي دفعته إلى الثورة .

ولعل أهداف الإمام الحسين(ع) تنطلق من أهداف الإسلام في كل زمان ومكان وهي:

أولا : صنع (أمة رسالية ) أي بناء قاعدة جماهيرية تتخذ حمل رسالة الإيمان بالله، والالتزام بقوانينه وشريعته منطلق عملها في الحياة

ثانياً: بناء (مجتمع إسلامي) يتخذ الإسلام في علاقاته وأنظمتها ودياناته مصدراً وحيداً في التشريع ويبني كافة مواقفه وفق القواعد الإسلامية العامة

ثالثاً: تخلص (الحضارة الإسلامية) من التحريفية وانقاذها من السقوط<sup>(١)</sup>.

وبما أن كل هذه الأمور لم تعد ممكنة مع النظام القائم آنذاك فقد حمل الإمام السلاح وبدأ الثورة ضده وذلك من أجل إقامة الحكم العادل الذي يصلح الفاسد ويرد الظالم كما هو واضح من أقواله عليه السلام :

١- "من رأى منكم سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله (صل الله عليه وسلم) يعامل عباد الله بالإثم والعدوان ، فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله ، إلا أن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن ، وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء واحلوا حرام الله وحرموا حلاله"<sup>(٢)</sup>

٢- "أني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي (ص) أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي (عليه السلام)"

٣- وقوله: " فسحقاً لكم يا عبيد الأمة، وشذاذ الأحزاب، ونبذة الكتاب، ونفثة الشيطان، وعصبة الآثام، ومحرفي الكتاب، ومطفئي السنن، وقتلة أولاد الأنبياء، ومبيدين عترة الأوصياء"<sup>(٣)</sup>

وهي أقوال تعكس أهم دوافع ثورة الامام (ع) وقضاياها المتمثلة في الآتي:

أولاً : إعلان الرفض للواقع الفاسد.

ثانياً: السعي للإصلاح والتغيير .

ثالثاً: تأكيد القيم الحقّة في واقع الأمة<sup>(٤)</sup>.

فالإمام لم يشن حرباً عدوانية وإنما شنّ حرباً لردّ عدوان قائم وهو عدوان الوضع الشاذ

## ٢- منطلقات الثورة الحسينية

المنطلقات التي انطلق منها الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه في ثورتهم الرائدة، التي يجب أن ينطلق منها كل مؤمن في حياته وتحركه:

### أولاً: الضمير والوجدان الإنساني:

وجدان الإنسان يغضب حين يشاهد مظاهر الظلم والحرمان، وضميره يثور حين يرى حياة الجور والاضطهاد. وكل إنسان يحس بوخز الضمير وغضب الوجدان، إذا ما رأى مظلوماً أو مستضعفاً. وإذا لم تقف الأناية والمصلحية حاجزاً بينه وبين ضميره، فإنه سيثور طبيعياً وسيجد نفسه مضطراً للوقوف إلى جانب المظلوم المضطهد ضد الظالم المعتدي.

### ثانياً: المسؤولية الدينية:

فالدين يوجب رفض الظلم ومكافحة الجور وعدم الاستسلام للاضطهاد، وكلما كان الإنسان أكثر وعياً بالدين وفهماً لأهدافه، كان أكثر اندفاعاً وأشدّ ثورية من أجل الدين، وأقوى غيراً على قيمه ومبادئه. وهذا هو بالضبط ما جعل الحسين عليه السلام يتحرك ويفجر ثورته بكل عنف وإصرار، منطلقاً من وعيه للمسؤولية الدينية، ومن تفهمه لروح الإسلام وأهدافه.

### ثالثاً: العزة والكرامة:

أثمن ما يملك الإنسان في هذه الحياة هي كرامته وحرّيته، فهي الفارق المميز بين

الإنسان وبين الحيوان، فالإنسان خلقه الله حراً كما يقول الأمام علي كرم الله وجهه  
"ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً"<sup>(٥)</sup>.

وما يعكسه التاريخ إن الحياة في وعي الإمام هي جهاد ومن لا يجاهد عليه أن  
يستعد للموت تحت سياط العبودية والذل والقهر ، فالجهاد عنده قيمة خاصة ، هو  
الثورة الدائمة في سبيل الله والحق والعدل والحرية

فأصبح الحسين صلوات الله عليه مشروع حضارة ، ومنهج انتصار ، وخطة عمل ،  
وراية رسالة ، فمن أراد عزاً بلا عشيرة، وهيبة بلا سلطان، فليفعل ما فعله الحسين  
صلوات الله عليه ، ليخرج من ذل طاعة الطاغوت، إلى عز طاعة الرحمن.

### ٣-المضامين الفكرية للإمام الحسين

وتعرف كتب اللغة الفكر على انه لفظ مأخوذ من " فكر يفكر تفكيراً - في الامر:  
اعمل العقل فيه ليعمل مستعيناً ببعض ما يعلم إلى مجهول أو إلى حل - وفكرت  
كثيراً في هذه المشكلة وقد توصلت إلى حل مرضٍ "<sup>(٦)</sup>

ويعرفه جبران مسعود على أنه "فكر يفكر في الشيء: عمل الفكر والعقل فيه  
ليتوصل الى حله او ادراكه"<sup>(٧)</sup>.

اما اصطلاحاً فإن الفكر ومن وجهة نظر فلسفية هو ما "يطلق على الفعل الذي  
تقوم به النفس عند حركتها في المعقول"<sup>(٨)</sup>.

ويعرفه أحمد عطية الله بأنه "عملية عقلية نزوعية تهدف إلى الوصول إلى الحقيقة  
المجهولة كحل مشكلة من المشاكل التي تعترض الانسان"<sup>(٩)</sup>.

اما (روزنتال) فعرفه على أنه: ال"نتاج الاعلى للدماغ بوصفه مادة ذات تنظيم عفوي  
خاص وهو العملية الايجابية التي بواسطتها ينعكس العالم الموضوعي في مفاهيم

واحكام ونظريات ويظهر خلال أنشطة الانسان لاجتماعية والانتاجية وتضمن انعكاساً وسيطاً للواقع ويكشف الروابط الطبيعية داخله" (١٠).

وعليه فإن من يقف عند سيرة الامام الحسين وثورته الجهادية الرسالية التي نستطيع أن نصفها بالحراك النهضوي لعب دوراً مهماً هزّ المشاعر الدينية والانسانية التي كانت غائبة أو مغيبة على حساب اللذات والشهوات والفساد وضياع حقوق المستضعف .

لعل أهم نتيجة أدتها الثورة الحسينية هي الإبقاء على القضية حيّة في شعور الإنسان المسلم على امتداد الزمن، بحيث تتحوّل إلى مسألة تتصل بالضمير الإنساني في علاقة الحاضر بالتاريخ .

والدين الاسلامي الذي بني بفضل الرسول الكريم (ص) جاء معتمداً على أسس اخلاقية وانسانية وعقائدية وهذه هي ذاتها الأسس التي اعتمدها الإمام الحسين في مفاصل ثورته ، وكأنه حاول من خلالها أن يعيد ذاكرة المسلم إلى إسلامه ويعيد العقل إلى التفكير بفكر الإسلام بكل ما فيه من عدالة ورأفة وسلام وصبر وعفة .

ويقول مفكر غربي : "أدى مصرع الحسين إلى أن تكون سلالة آل محمد (ص) في ضمير المسلمين لأنهم أنبل جنس عاش على أرض الدولة الإسلامية. وإذا أردنا أن نتقف أنفسنا على هذه المبادئ العظيمة فهنا مبادئ الإسلام الحقيقي" (١١) .

ولعل من أهم المضامين الفكرية التي تجسدت في سلوك وأقوال الإمام الحسين هي (١٢) :

١-نبذ الظلم والتضحية من أجل الاصلاح

لا شك أن ما أعلنه الإمام الحسين بخصوص الإصلاح هو معروف للمسلمين جميعاً، لا يختلف عليه اثنان لاسيما من تتقف بثقافة الامام الحسين (ع) التي تعد ثقافة نهضوية انسانية رافضة لأي خطأ يتجه باتجاه الظلم .

ولعل البعد التطبيقي للفكر الحسيني مهم جدا لإثبات حقيقة موقف الإنسان من هذه الثورة العملاقة، فالهدف الأهم هو تطبيق الثقافة الحسينية في معناها وجوهرها العظيم على حيّز الفعل الإنساني الملموس باليد والمرئي بالعين والمسموع بالإذن، فلا يكفي أبداً أن ادّعي الانتماء لجوهر الفكر الحسيني ولا أعمل به، ولا يجوز قط أن أتبجح بالثقافة الحسينية ولا ألتزم بضوابطها وأعمل في هديها، فمن هذا الذي يقول إنني لا أعرف ماذا تريد مني هذه الثقافة؟ إن الكل يعرف تمام المعرفة ما هي القيم التي خرج الحسين(ع) من اجل تثبيتها والعمل على تطبيقها في حياة المسلمين من اجل الحفاظ على كرامتهم ودينهم<sup>(١٣)</sup>.

٢-الصبر على المكاره : لقد استمد الامام الحسين تلك الصفة الاخلاقية من القرآن الكريم (( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ )) فكان مثالا للمسلم الصبور والامام القدوة يرفض بدء القوم بالقتال: فحينما يعرض عليه أحد أصحابه بحسم المعركة لصالحه قبل يوم العاشر باعتبار أن جيش العدو كان غير مستعد من ناحية العدة والعتاد، لكنه قال: (ما كنت لأبدأهم بالقتال) وحتى اللحظة الحاسمة أبت نفس الحسين عليه السلام أن ترميهم بسهم إلا بعد إسداء الحجة تلو الحجة والحدز تلو الحدز<sup>(١٤)</sup> .

٣-العدالة والمساواة في التعامل : لا يميز بين الغريب والقريب من أتباعه: والموقف الجلي الذي رافق سيد الشهداء في نهضته هو مواساته لأنصاره واحترامه لهم بنفس القدر مع من يرتبط بهم بوشائج القرى من أخوته وأبنائه، ففي الوقت الذي جلس عند مصارع أخيه وولده والشهداء من بني هاشم تراه يراعي ويواسي أنصاره

فتارة يضع خده على خد الغلام الحبشي، أو على خد الغلام التركي ليقول: من مثلي ويضع ابن بنت رسول الله خده على خدي، فهذه مواصفات القائد اللائق الذي لا يميز بين الغريب والقريب من أتباعه، ومن هنا تمكن الإمام من امتلاك مودتهم له واستجابتهم لدعوته<sup>(١٥)</sup>

٤-الرأفة : الالتزام بالرفق والعطف واللطف حتى على الأعداء: ومن صورته الخلقية العطف على قاتليه، فالمشاعر الحارة والهيجان الثوري لم يمنعه من الالتزام بالرفق والعطف واللطف حتى على الأعداء، ففي طريقه نحو كربلاء واجه شريحة من عسكر ابن زياد وهم ما يقارب من (١٠٠٠) مقاتل وكانوا عطاشى مع خيولهم فأمر الإمام بإروائهم وسقى خيولهم، وقال: (أسقوا القوم وأرووهم من الماء ورشفوا الخيل ترشيفا) وأنه سقى بنفسه أحد جنود الأعداء من الماء الذي كان قد احتفظ به لوقت الشدة!<sup>(١٦)</sup>

قبول توبة من جاء لقتاله ومن فتك به أشد فتك والعفو عنهم: ومن السجايا الأخلاقية التي انفرد الإمام عليه السلام بها في هكذا مواقف عصبية هي قبول توبة من جاء لقتاله ومن فتك به أشد فتك والعفو عنهم، فالحر بن يزيد الرياحي الذي كان من صفوف الجيش الأموي يعود لهديه ويندم على غيه ويعتذر للإمام فيرحب به عليه السلام بقلب رحب وعاطفة طيبة ويقبل توبته وقاتل الحر مع الحسين ضد جيش يزيد، إلى أن هوى صريعا فجاء عنده الإمام وقال: (ما أخطأت أمك إذ سمتك حرا، فأنت حر في الدنيا وسعيد في الآخرة) ولا زال التاريخ يقدر هذا الموقف الفريد والصفة الطيبة<sup>(١٧)</sup>.

٥-العفة : صيانة المرأة في حجابها وعفتها ويحافظ على دورها اللائق في المجتمع: وتجلت صورة أخرى من أخلاقيات الإمام الحسين على ثرى الطف وهي؛ حينما برز ولده علي الأكبر وقاتل حتى قتل، فبينما هوى صريعا خرجت أمه ليلي من الخيمة

صارخة صائحة فنهاها الإمام من ذلك قائلاً لها: "إرجعي إلى الخيمة أما تعلمين إن حجابك أعز عندي من ولدي علي الأكبر" فردها الحسين إلى الخيمة ليسجل بنفسه موقفاً أخلاقياً يصون المرأة من كل إغراء ويحافظ على دورها اللائق في المجتمع<sup>(١٨)</sup>.

٦- تطبيق الواجبات والفروض الالتزام بأداء الشعائر الإسلامية كالصلاة في وقتها: ومن أجل المظاهر الإنسانية التي جسدها الإمام الحسين قبل شهادته هي طلبه من الأعداء لأن يصلي ركعات، ليشير للأمة بأن الإسلام عبادة وسياسة فيطلب من أحد أتباعه ليطالب من الأعداء ليمهلوه حتى يصلي، فيصلي الإمام عليه السلام ولكن رمي السهام والنبال لم تترك له مجال أوسع للتفرغ للعبادة واستمرار الارتباط الروحي مع خالقه، ويكفيه فخراً أن استهدف بموقفه هذا من توجيه للأمة بأن لا تترك هذه الشعيرة الإسلامية ولا تميتها<sup>(١٩)</sup>.

## المحور الثاني

### الزيارة الاربعينية ثورة وفكر

#### ١- معنى الزيارة الاربعينية وتاريخها وشرعيتها

إن زيارة الأربعين معروفة عند الشيعة بزيارة (مردّ الرأس )، والمراد من التسمية أن أسارى أهل البيت ، قد جاءوا برأس الحسين (ع) معهم عندما جاءوا إلى كربلاء في هذا اليوم. وهو اليوم العشرون من صفر الذي يوافق مرور ٤٠ يوم على مقتل الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب في معركة كربلاء على يد جيش عبيد الله بن زياد، وبحسب بعض الروايات فقد قامت زينب بنت علي وعلي بن الحسين السجاد ورفقة الأيتام وأطفال الحسين إلى أرض كربلاء لزيارة قبر الحسين في الأربعين.<sup>(٢٠)</sup>

ويعتبر من أهم المناسبات عند الشيعة حيث تخرج مواكب العزاء في مثل هذا اليوم ويتوافد مئات الآلاف من الشيعة من كافة أنحاء العالم إلى أرض كربلاء لزيارة قبر الحسين<sup>(٢١)</sup> ويقوم الملايين من الزوار بالحضور إلى كربلاء مشياً على الأقدام بأطفالهم وشيوخهم من مدن العراق البعيدة حاملين الرايات تعبيراً عن النُصرة<sup>(٢٢)</sup> انظر الصور إذ يقطع بعضهم ما يزيد على ٥٠٠ كيلومتر مشياً ويقوم أهالي المدن والقرى المحاذية لطريق الزائرين بنصب سرادقات (خيام كبيرة) أو يفتحون بيوتهم

لاستراحة الزوّار وإطعامهم معتبرين ذلك تقرباً إلى الله وتبركاً حتى انها عدت علامة من علامات المؤمن كما ذكرنا في المقدمة .

وتذكر الروايات أن أول من زار الحسين في يوم الأربعاء كان الصحابي جابر بن عبد الله الانصاري إذ صادف وصوله من المدينة المنورة إلى كربلاء في ذلك اليوم وهو يوم وصول ركب حرم الحسين (نساءه وأيتامه) برفقة الإمام علي بن الحسين زين العابدين (السجاد) وعمته زينب، فالتقوا هناك ونصبوا مناحة عظيمة أصبحت إحياء ذكرها من السنن المستحبة المؤكدة عند أتباع أهل البيت، وتسمى هذه الذكرى محلياً في العراق بزيارة مردّ الرؤوس (اي رجوع أو عودة الرؤوس) لأن رأس الحسين ورؤوس بعض من قُتل معه من أصحابه وأهل بيته أُعيدت لدفنها مع الأجساد بعد أن أخذها جيش بني أمية إلى يزيد وطافوا بها تباهاً بالنصر<sup>(٢٣)</sup>

فليس هناك ثمة إشكال أو خلاف بين الفقهاء والعلماء في استحباب زيارة الامام الحسين (ع) في يوم الأربعاء، وقد وردت روايات تُؤكّد على استحباب زيارته في هذا اليوم، لاسيما عند ارتفاع النهار،

ومن الروايات التي وردت في التأكيد على استحباب زيارة سيد الشهداء (ع) في يوم الأربعاء، ما روي عن مولانا الإمام الحسن العسكري عليه أفضل الصلاة والسلام، إذ جعل زيارة الأربعاء واحدةً من علامات المؤمن<sup>(٢٤)</sup>، إذأ، ليس من إشكالٍ في أن يوم الأربعاء هو يوم الزيارة، وهذا هو أوّل سمة وأهمّ شعار ينبغي أن يُمثّل في يوم الأربعاء.

مما لا ريب فيه أنّ يوم الأربعاء هو يوم يتأكد فيه استحباب الزيارة لسيد الشهداء (ع) وأنّ زيارته في هذا اليوم من علائم الإيمان وفي ذلك يقول الامام الصادق (ع) : "من أراد الله به الخير قذف في قلبه حب الامام الحسين (ع) وحب زيارته"<sup>(٢٥)</sup>

وتعني الزيارة الوصلة وعرض الزائر نفسه على المزور والقيام بين يديه والاتباع والرجوع إليه بقلب خالص وعزم صادق ، ومن زار أخاه أي قصده ابتغاء وجه الله تعالى فهو زوره وحق على الله ان يكرم زوره او قاصديه(٢٦)

## ٢-اهم التطبيقات الفكرية للزيارة الأربعينية

قال الإمام الحسين عليه السلام: "أوصيكم بتقوى الله، وإدامة التفكر، فإنّ التفكر أبو كلّ خيرٍ وأمه"(٢٧) اي ان دوام التفكير ميزة الشعوب الحضارية ، وهي سمة للراقي والنبوغ ، فهي قرينة المتقي .

فالمداومة على الزيارة الاربعينية هي إحياء الاسلام واستعادة القرآن الى الحياة ، والابقاء على القضية حيّة في شعور الإنسان المسلم على امتداد الزمن ، لذا فهي تشكل علامة من علامات استعمال الفكر الحسيني المرتبط بالتقوى والخير .

فما قام به الإمام الحسين هو تجسيد للدين الكامل والقانون الرصين الذي يهدف إلى إسعاد المجتمع البشري تحقيق التقدم والازدهار في ظل حكومات عادلة وادارات حكيمة ورعاية تنطلق من مبادئ الاسلام في كل زمان ومكان

فالزيارة الاربعينية هي احدى الشعائر المهمة التي تحمل دعوة متجددة في الإصلاح والانتصار ، فالحب الذي يدفع الملايين على تحمل مشاق المسافات الطويلة مشيا على الاقدام لزيارة الامام (ع) ما هو الا اقتداء بنهج الامام وفكره المتضمن بناء مجتمع ودولة عادلة

إن زيارة الأربعين أضحت اليوم حدثاً عالمياً واستثنائياً، لم تعرف البشرية له نظير ، لا على المستوى المادي ولا على والمعنوي

فليس في الأرض ما يشبه مشهد ملايين السائرين، مشياً على الأقدام، مستصحبين معهم الأطفال والشيوخ والنساء والمرضى وذوي الاحتياجات الخاصة، مسافة تتجاوز ٦٠٠ كيلومتراً، لا يباليون بتقلبات الجو وقساوته ولا يأبهون للاعتداءات الارهابية ، وهذا كله في سبيل تجديد الحب والولاء للإسلام والعقيدة ،وليتجسد فكر الامام الحسين في القول الطيب والعمل الصالح والاخلاق السامية والدفاع عن المظلوم ونصرته على حساب الظالم واصلاح ما أفسده الحكّام ، ومساعدة المحتاج ورعاية الايتام والأرامل والنظر الى الناس من منظور انساني وهذا ينبغي أن يكون حاضراً في قلب وعقل ووجدان الزائرين

يقول المرجع الشيرازي (دام ظله) في توصية الى زوار الاربعينية : استفيدوا من هذه الزيارة الاستثنائية استفادة استثنائية، ليحاول كل واحد منكم، خلال الأيام التي يقضيها في هذه الزيارة، أن يهتم بمحاسبة نفسه يومياً، ولو لدقائق معدودة، من أجل إصلاحها، كما أكد الأئمة (عليهم السلام) ذلك. وخلال زيارتكم للإمام الحسين (عليه السلام) ادعوا الله (عز وجل) أن يفرج عن إخوانكم الشيعة في كل مكان، فلعله بذكركم لإخوانكم يستجاب دعاؤكم وينظر الله (عز وجل) إليكم<sup>(٢٨)</sup>

ويضيف (دام ظله): على الزوار الحسينيين أن يعرفوا أن عليهم أن يتحلوا بالصفات الإيمانية الفاضلة التالية، لتحقيق أدب الزيارة ونتائجها المرجوة، وهي: الإخلاص لله (عز وجل)، والسعي والمشاركة في إنجاز الأعمال الصالحة، الالتزام بالأخلاق الحسنة<sup>(٢٩)</sup>

لان السلوك سواء أكان دينيا أم غير ديني، إن لم يخضع للفكر سيكون عشوائيا ويذهب سدى بدون فائدة تذكر لذا قيل : أصل السلوك فكرة

ومن اهم التطبيقات المنهجية المستمدة من فكر الامام الحسين هي :

١- البعد التنظيمي: إن زيارة عظيمة كالزيارة الاربعينية تخفي وراءها عقول تنظيمية اخذت على عاتقها ترتيب الافواج وتوفير مستلزمات المأونة والرعاية الصحية والأمان، وهذا يؤكد أن القائمين على ذلك متسلحون بثقافة إسلامية حسينية ، حتى أصبحت تلك الزيارة حدثاً أذهل العالم ، ففي إحدى الزيارات الاربعينية سارت كاتبة المانية من النجف الاشرف إلى كربلاء الطاهرة مشياً على الأقدام مع مجموعة من الزائرين فقالت فيها "إنه طريق ممتع ومبهر وفريد ، أمران في هذا الطريق لا أجدهما في أي مكان آخر من هذا العالم : الاول : لا احد يجوع ، والثاني : لا تجد خصومة بين اثنين" (٣٠)

ولا ننسى انطون بارا وهو مفكر وروائي وإعلامي واكاديمي سوري، عُرف عنه اهتمامه بسيرة أهل البيت وقد نال كتابه (الحسين في الفكر المسيحي) شهرة واسعة حين صدوره وأثار جدلاً لطرحه المغاير حول واقعة كربلاء وتحليله لمواقف وأفكار الإمام الحسين (ع) من وجهة نظر مسيحية عربية

فقد قال في حق الزيارة الاربعينية، أن " الناس متحابون فيما بينهم لا ترى سوى الإحسان والخدمة الجميلة التي تزداد سنة بعد أخرى"، معتبراً أن "زيارة الأربعين أمرٌ يعجز الإنسان عن وصفه" (٣١)

وهذا بالتأكيد ينبع من الدور الذي تلعبه الحوزات الدينية ومنظمات المجتمع المدني والاعلام الشيعي والشباب الثابت على العقيدة الملبي لنداء الامام الحسين (هل من ناصر ينصرني) .

## ٢- البعد الديني او العقائدي

إن للإيمان أهمية خاصة في حياة المسلم عموماً، وذلك لأن كل القيم تفقد أهميتها إذا لم يرافقها إيمان صادق، وذلك لأن الإيمان الحق ينظم علاقة الإنسان بربه

وعلاقة الإنسان بنفسه بالإضافة إلى علاقة الإنسان بأخيه الإنسان ومجتمعه، فهي قيمة ملازمة لكل القيم التي يحملها الإنسان المسلم، فمن خلال الإيمان يعطى التصور الرشيد عن الخالق والكون والإنسان وهو مصدر الحق والعدل والاستقامة والرشاد وغيرها من القيم الأخرى.

إن تنمية القيم التربوية في الشخصية المسلمة تعتمد على تكوين الوازع الذاتي في النفس البشرية، إذ يصبح الإنسان كائناً ذا ضمير حي واحساس مرهف، يراقب نفسه بنفسه، ويحاسب نفسه قبل أن يحاسبه غيره. فالوازع الديني والباعث الأخلاقي اللذان يسهم الدين في تثبيتهما في أعماق النفس البشرية هما الضمان الأول والأكيد لسعادة المجتمع وهنائه، وتعد القيم صمام الأمان الكفيلة بضبط علاقات الفرد بربه ونفسه ومجتمعه<sup>(٣٢)</sup>.

لذا فالإنسان مطالب بواجبات عدة تجاه الخالق يكفل أداءه لها ببث الطمأنينة في نفسه وضمان استقراره في الحياة، ففائدتها عائدة أساساً على الفرد الذي يؤديها لأن الله غني عن عباده، لا تنفعه طاعتهم ولا تضره معصيتهم، وأهم تلك الواجبات تتلخص في الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وما أنزل من حقائق والطاعة المطلقة له وتدبر آياته وشكره على نعمائه والرضا بقضائه والتوكل عليه وعدم اليأس من رحمته والموت في سبيله، وكذلك قيامه بالعبادات المنوطة به، والعبادة لا تعني مجرد أداء الفرائض والشعائر الدينية، إنما تشمل أيضاً ما يقوم به الإنسان من معاملات وقيم وسلوك، وطريقة عبادة الله بالعلم والعمل والخشية

٣- الأبعاد الاجتماعية في الزيارة الاربعينية

بما أن الزيارة الاربعينية صارت اليوم اكبر التجمعات الدينية في جميع أصقاع العالم وأكثرها تنوعاً من حيث الانتماءات والقوميات إذ يمكن تلخيص تلك الأبعاد بعدة نقاط أهمها:

أولاً: التلاقح الفكري: تشكل الزيارة محفل مهم وحاضن لجميع الحضارات الشرقية والغربية التي تكفل لكل زائر أو صاحب موكب الاطلاع على ثقافات اخرى سواء الدينية او الفكرية تتحقق بفعل التعايش السلمي بين الفئات .

ثانياً : اشاعة روح التعاون والعمل الطوعي : إن فكرة العمل التطوعي قد أسهمت في بناء الكثير من الدول الحديثة وتقدمها، والزيارة الاربعينية بما تملكه من شرعية مستمدة من خلفيتها الدينية والعاطفية والفكرية تعد محفزا للعمل الطوعي فقد بذل الشباب والشبية جهودا جبارة واموالا طائلة تطوعا وعن طيب خاطر كل ذلك من اجل خدمة الزائرين وخدمة المذهب .

ثالثاً : التكافل الاجتماعي : الى جانب العمل الطوعي نجد التكافل الاجتماعي المتمثل بالعطاء المادي والمعنوي وهي خصلة اخلاقية وانسانية تحتوي الكرم والايثار ونبذ روح الانانية والتعالي .

رابعاً: عدم التمييز بين الاديان والجنسيات والاشكال، فالحشود المليونية تضم العديد من الجنسيات والاديان والقوميات تسير كلها الى كربلاء المقدسة بكل ما فيهم من ايمان وحب من غير ان نجد أي تمييز عنصري وهذا ما جسده ثوره الامام الحسين من فكر انساني واخلاقي

## الخاتمة :

بعد الإنتهاء من مضمون الدراسة التي تكفلت الحديث عن الزيارة الاربعينية واهم المضامين الفكرية التي تميزت بها الزيارة ومدى افادتها من فكر الامام الحسين (ع)، لابد أن نوجز أهم النتائج التي تم التوصل إليها وهي:

١- إن المقصود بالزيارة الاربعينية هو اليوم الذي عاد فيه الرأس إلى الجسد وهو اليوم الذي شهد أول زيارة للإمام من قبل جابر الانصاري الذي التقى فيه الإمام السجاد وسبايا الإمام والذي يوافق العشرون من صفر .

٢- إن فكر الإمام الحسين (ع) يعد فكرا جهاديا وانسانيا ليس له وقت أو مكان محددين وهذا ما تجسد في سلوكيات محبي الامام وزواره

٣- الفكر الحسيني ترك بصماته في العقيدة الإنسانية جمعاء ليس الشيعية فحسب ففكر الامام الحسين يعد مصدر من مصادر الثقافة للعالم بأسره

٤- إن فكر الامام الحسين (ع) ترك أثارا واضحة في المنهج التطبيقي للزيارة الاربعينية سواء على مستوى التنظيم ام على مستوى الولاء للعقيدة ام على مستوى التسلح بالمبادئ الانسانية والاخلاقية حتى أصبح بالإمكان ان نعد الزيارة الاربعينية مشهدا ثقافيا يرتقي للعالمية .

٥- جسدت الزيارة الاربعينية أهم المضامين الفكرية للإمام الحسين والمتمثلة بالتضحية والصير في سبيل الحق فضلا عن الاخلاق الاسلامية المتمثلة بالعفة والكرم والعدالة ومساعدة المحتاج ونبذ العنصرية الى جانب تأدية الفروض والواجبات الاساسية للمسلم .

اما اهم التوصيات فكانت كالاتي:

على الرغم مما تضمنه الزيارة الاربعينية من مضامين فكرية مهمة الا أنها تفتقد للكثير لاسيما إذا اعتبرناها مناسبة لها أهداف غير محدودة ، تتعدى الأهداف الدينية والاجتماعية إلى الأهداف الثقافية التي تشمل فئات المجتمع لذا نوصي بالاتي :

١-انطلاقا من الاعداد الكبيرة التي تتوافد للزيارة الاربعينية نوصي بالتركيز على الفئات الشبابية وذلك باحتوائهم والشد عليهم وتعريفهم بمسؤولياتهم الدينية والاجتماعية وذلك من خلال تثقيفهم على المعنى الحقيقي للعقيدة الراسخة .فضلا عن تحفيزهم وتحريك طاقاتهم الفكرية من اجل الارتقاء بمجتمعهم وذلك من خلال الابداع والانتاج وصولا للإصلاح منطلقين من فكر سيد شهداء اهل الجنة

٢-استغلال اجواء الزيارة الاربعينية لتعريف الشباب بمساوى الثقافات الوافدة للعالم العربي المسلم ، وتحفيزهم على نبذها ورفض كل ما هو سلبي ومنحرف .

٣-اعداد خطيبات وخطباء متسلحين بالثقافة الحسينية لتوجيه الشباب وتوعيتهم لإسلامهم الحق

٤-تفعيل دور الورش والندوات والمؤتمرات والعروض الفنية في احياء وترسيخ القيم والاهداف الحسينية واثبات ان الثورة الحسينية هي ثورة لإيقاظ الانسانية من غفلتها ،

## الهوامش

- (١) الشهيد والثورة ، هادي المدرسي، مؤسسة الاعلى للمطبوعات - بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٢
- (٢) ينظر: تأريخ الرسل والملوك، الطبري تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف - مصر : ١٩٦١ ، ٤٠٣/٥ . وينظر: الكامل في التاريخ ، ابن الاثير تحقيق، خليل مأمون شيحا، دار المعرفة - بيروت ، ٢٠٠٠ م ، ٥٠٢/٣
- (٣) مناقب آل أبي طالب الفتوح، ابن أعثم ، تحقيق، علي شيري، دار الأضواء- بيروت ، ١٩٩١م ، ٢٣/٥ ، ابن شهر اشوب ، مؤسسة انتشارات علامة - قم ، د.ت، ٨٩ /٤ ، ترجمة الإمام الحسين(ع)، ابن عساكر ، تحقيق، محمد باقر المحمودي، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، د.ت: ٣١٨
- (٤) [www.saffar.org](http://www.saffar.org)
- (٥) الشهيد والثورة ، هادي المدرسي : ١٣
- (٦) جماعة من الكبار اللغويين العرب: المعجم العربي الاساسي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ب.ت: ٩٤٧.
- (٧) الرائد /معجم لغوي عصري ،جبران مسعود ، دار العم للملايين ، ١٩٩٢م : ١٢٩
- (٨) المعجم الفلسفي ، جميل صليبا ، دار الكتاب اللبناني ، ١٩٨٢م : ١٥٦
- (٩) القاموس السياسي ، احمد عطية الله ، دائرة المعارف الحديثة ، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ، ١٩٥٢م : ٤٧٣
- (١٠) الموسوعة الفلسفية، بودلين روزنتال ،تر: يوسف كرم، ط٣، دار الطليعة- بيروت ، ١٩٨٥ : ٣٣٢:
- (١١) الموسوعة الفلسفية: ٣٣٢
- (١٢) قراءة في الخطاب الحسيني ، محمد الهنداوي ، المكتبة الحيدرية / ١٤٢٩ هـ : ١٤٦
- (١٣) <http://almodarresi.com/notes/a3084lbc.htm>
- (١٤) الحسين في الفكر المسيحي، الكاتب المسيحي أنطوان بارا ، مكتبة فدك . قم المقدسة. الطبعة :الثانية ، ٢٠٠٥ م . ٨٩:
- (١٥) قراءة في الخطاب الحسيني: ١٤٨
- (١٦) - الحسين في الفكر المسيحي : ٩٠

- (١٧) الحسين في الفكر المسيحي: ٩٤
- (١٨) قراءة في الخطاب الحسيني: ١٥٠
- (١٩) م. ن : ١٤٦
- (٢٠) بحار الأنوار، العلامة محمد باقر المجلسي، بيروت، د.ت: ٣٢٩/٩٨.
- (٢١) وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة، محمد بن الحسن الحر العاملي، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء، ايران، د.ت: ١٤ / ٤٨٧.
- (٢٢) مصباح المتهدد للشيخ ابي جعفر بن الحسن الطوسي، صححه واشرف عليه: حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للطباعة، ١٩٩٨م: ٧٨٧
- (٢٣) م. ن : ٧٨٧
- (٢٤) وسائل الشيعة ٤٥٨/١
- (٢٥) كامل الزيارات، للشيخ ابي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه القمي، تحقيق نشر الفقاهة د.ت: ١٢٢
- (٢٦) الكافي، ابن اسحاق الكليني الزازي، تحقيق قسم احياء التراث، مركز بحوث دار الحديث د.ت: ١٧٩/٢
- (٢٧) [www.alshirazi.com](http://www.alshirazi.com)
- (٢٨) الحسين مصباح الهدى، الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي، مؤسسة السيدة زينب (ع) د.ت: ١٩.
- (٢٩) ثقافة عاشوراء في فكر الإمام الشيرازي إعداد ونشر مركز الإمام الشيرازي للبحوث والدراسات بيروت - دمشق ط ١ / ٢٠٠٢م ص ١٢.
- (٣٠) [annabaa.org/arabic/ashuraa](http://annabaa.org/arabic/ashuraa)
- (٣١) المصدر السابق
- (٣٢) مستوى الاعتقاد لمنظومة القيم التربوية الإسلامية ودرجة ممارستها لدى طالبات الجامعات الحكومية في الأردن، تهاني الفريجات، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة اليرموك، الأردن، ١٩٩٨ م: ٢